بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان: (اليقين)

اليقين حصن الإيمان في مواجهة الأزمات والشكوك والإلحاد

كيف نتعلم اليقين؟ رحلة من المعرفة إلى المعايشة

اليقين هو عضلة القلب الإيماني:

كيف نحميها ونقويها وننميها ونرقيها؟

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٤ ربيع الثاني ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٥م

صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي جعل اليقين نور القلوب، وطمأنينة النفوس، وقوة العزائم، وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تملأ القلب يقينًا وسكينة واطمئنانًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي كان في كل مواقف حياته قدوةً في الثبات واليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام، ومَن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

اللهم صل أفضل صلاة، على أسعد مخلوقاتك، سَيِّدِنَا محمد، وعلى آله وصحبه؛ عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، ورضى الله عن مشايخنا ووالدينا وأولادنا وأزواجنا، والصالحين من عبادك، وأولياء الله أجمعين.

اللهم صلّ صلاة كاملة، وسلم سلامًا تامًا، على نبي تنحلُ به العُقد، وتنفرج به الكُرب، وتقضى به الحوائج، وتُنالُ به الرغائب، وحُسنُ الخواتيم، ويستسقى الغمامُ بوجه الكريم. وعَلَى آلِهِ الطاهرين، وصحبِه الطيبين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا... اللهم آمين يا رب العالمين.

فَمبلَغُ العلْم فيه أنَّه بَشَرٌ ... وأنَّه خَيْرُ خَلْق الله كُلِّهم

مولاي صلِّ وسلم دائما أبدا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال تعالى: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣). أما بعد...

أيها المؤمنون:

موضوع اليقين والإلحاد موضوع كبير وخطير والحديث عنه أو فيه يحتاج إلى وقت طويل...

وفي البداية أيها الأحباب نُقرُّ جميعا لله (سبحانه وتعالى) بالألوهية والوحدانية والقدرة والعلم والإرادة والمخالفة للحوادث ونقر له بكلِّ صفات الكمال والجمال والجلال، ونعتذر له (جل وعلا) عن تقصير المقصرين ونكران المنكرين.

اللهم إننا نشهدك يا ربنا أننا نؤمن بك ولك ونؤمن بما نزلته على رسلك، ونؤمن بملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر والجزاء والحساب والجنة والنار، ونومن أن الله الحكيم العليم يعلم دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء، فأيُّ همسةٍ على أديم الأرض، وأي حركة في باطنها، وأيُّ حركةٍ في عنان السماء، وأي نبضة في الهواء، وأي ذرة في أعماق البحار، لا تقع، ولا تحدث، ولا تتحرك إلا بعلم الله، وقدرة الله ومراد الله وإرادة الله (جل في علاه).. يعلم جميل فعالنا وقبيحها، ويسمع شريف كلامنا ونقيصه، ويعلم خفايا صدورنا ونوايانا...

فالله أعلم بنا منا أعلم بنا من أنفسنا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد...

الله كان قبل أن كان، عَلِم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لو كان كيف يكون، أحاط عِلمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطِنها، دقِيقها وجليلها، فما من صغيرة وكبيرة في خلقه إلا وتعلقت بعلمه (جل وعلا) (١).

لماذا اليقين: حاجة الإنسان الفطرية إلى الإيمان والطمأنينة

القلب البشري مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وهذا القلب لا يهدأ ولا يهنأ إلا إذا استند إلى ركن شديد، ولا يطمئن إلا إذا وجد يقينًا يملأ فراغه العميق. فمنذ أن يفتح الإنسان عينيه على هذه الدنيا، وهو يتساءل: من أنا؟ ومن خلقني؟ ولماذا جئنا إلى الدنيا؟ وأين المصير؟ أسئلة لا تهدأ ولا تنطفئ، إلا إذا أجيب عنها بيقين. لقد جُبلت الفطرة على الإقرار بالخالق، ومحبته، وعبادته، فإن وجدت ربها سكنت واطمأنت، وإن حُجبت عنه ضاعت في متاهات الشكوك، وتخبطت في دروب الأهواء. ولهذا قال بعض السلف: ما خُلق الإنسان إلا ليعبد، وما عبد إلا ليتيقن، وما تيقن إلا ليطمئن.

(١) راجع: د. أحمد علي سليمان، محاضرة: مخاطر الإلحاد، الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف، الأسبوع الثقافي الرئيسي السابع، مسجد يوسف الصحابي، مصر الجديدة، الثلاثاء ٦ سبتمبر ٢٠٢٢م.

فالحاجة إلى اليقين ليست ترفًا فكريًّا، ولا جدلًا فلسفيًّا، بل هي ضرورة وجودية، بها يحيا القلب أو أو يضا، فيثبت أو ينهار.

فكم من وجوهٍ تراها باسمةً ظاهرًا، ولكنها في داخلها هائمة حائرة؛ لأنها لم تذق طعم اليقين؟.

وكم من قلوبٍ متخمة بالمال والجاه والسلطان، لكنها خاوية، مضطربة، قلقة؛ لأنها لم تجد سكينة الإيمان؟.

أيها الإخوة،

إن الإنسان بلا يقين كالسفينة بلا ربان.. بلا مرساة، تعبث بها الأمواج وتلقي بها العواصف حيث شاءت، فلا تعرف قرارًا ولا أمانًا.

انظروا إلى القلوب التائهة اليوم: كيف تضجّ بالأسئلة ولا تجد جوابًا، وتلهث وراء الأوهام فلا تبلغ سكينة، وتحاصرها الشكوك حتى تطفئ بقايا الطمأنينة فيها. ذلك لأن الفطرة خُلقت لتسكن إلى خالقها، وتخبت لبارئها، وتطمئن بذكره، فإذا حُرمت يقين الإيمان، عاشت في قلقٍ دائم، وضياعٍ وغربةٍ لا دواء لها.

فمن وجد اليقين وعاشه وعايشه، عاش مطمئنًا ولو فقد الدنيا كلها، ومن حُرم منه عاش شقيًا ولو ملك الدنيا بما فيها.

في عصر العولمة والانفتاح، ظهرت تيارات فكرية وفلسفية تنكر وجود الله، أو تشكك في الدين باسم "العلم" أو "الحرية الفكرية"، والذكاء الاصطناعي.

الدراسات النفسية (مثل دراسات فيكتور فرانكل في الإنسان يبحث عن المعنى) تؤكد أن فقدان المعنى واليقين يولّد فراغًا قاتلًا يقود إلى القلق والانتحار.

تعريف اليقين في الإسلام

اليقين هو العلم الجازم المطابق للواقع، الذي لا يتطرق إليه شك.

وقيل: هو تمام العلم وكماله، وهو العلم الذي لا يتطرق إليه وهم ولا شبهة.

عند تأمل "الدلالة اللغوية لليقين نخلص إلى نتيجتين:

الأولى: إنَّ اليقين أعلى درجة في العلم، يصل إليها الشخص من خلال بذل الجهد في البحث العلمي المؤصل، دون الاعتماد على المحاكاة أو التقليد أو النبعة الفكرية. إذ إن اليقين درجات يتفاوت فيها الناس بحسب سعيهم فيها.

الثانية: يلزم من وجود اليقين زوال الشك من القلب".

وهكذا فإن اليقين حين يستقر في القلب يثبت أمام الفتن؛ لوضوح الفتنة، ومعرفة سبيل النجاة منها. أما القلب الذي يضعف عنده اليقين فسرعان ما يضعف أمام الفتنة ويقع في أوحالها، حتى تصبح المعرفة غير ظاهرة فهو ينكرها مرة ويثبتها أخرى، يتخبط في طريقه لا يميز بين المعروف والمنكر فالحق عنده نسبي لأن معيار الحق عنده ما وافق هوى النفس، وأشبع مطالب الجسد [٢].

مصادر بناء اليقين في الإسلام

- الوحي (القرآن والسنة) كمصدر للمعرفة المطلقة.
- الفطرة السليمة التي تشهد بوجود الله.
- العقل والتفكر في الكون والأنفس.
- التجربة الإيمانية (العبادات – الدعاء – التوبة – المجاهدة).

(٢) راجع: وفاء عبد الله الزعاقي: اليقين في القرآن الكريم، ط١، الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. ص ٢٢، ٣٣.

صيغ اليقين في القرآن الكريم [٣]

ورد لفظ اليقين في القرآن الكريم ثمانيا وعشرين مرة موزعة على خمس عشرة سورة، أربع مدنية (البقرة، النساء المائدة، لقمان) (الرعد على اختلاف في مدنيتها ومكيتها)، وعشر سور مكية (النمل، والروم، السجدة، الجاثية المدثر، الطور، الحجر، الواقعة، الحاقة، التكاثر)، أما الصيغ الاشتقاقية لـ (اليقين) فهي خمس صيغ وردت على النحو التالي:

لفظ الفعل المضارع (توقنون يوقنون)، ورد اثنتي عشرة مرة في الآيات التالية:

ورد بالفعل المضارع المخاطب (توقنون) مرة واحدة في قوله تعالى:

١. (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ **تُوقِنُونَ**) (الرعد: ٢).

ورد بالفعل المضارع للغائب (يوقنون) إحدى عشرة مرة في قوله تعالى:

٢. (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ **يُوقِنُونَ**) (البقرة: ٤).

٣. (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ **يُوقِنُونَ**) (البقرة: ١١٨).

٤. (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ **يُوقِنُونَ**) (المائدة: ٥٠).

٥. (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ **يُوقِنُونَ**) (النمل: ٣).

٦. (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا **يُوقِنُونَ**) (النمل: ٨٢).

٧. (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا **يُوقِنُونَ**) (الروم: ٦٠).

٨. (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ **يُوقِنُونَ**) (لقمان: ٤).

٩. (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا **يُوقِنُونَ**) (السجدة: ٢٤).

١٠. (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ **يُوقِنُونَ**) (الجاثية؛ ٤).

١١. (هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ **يُوقِنُونَ**) (الجاثية: ٢٠).

١٢. (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا **يُوقِنُونَ**) (الطور؛ ٣٦).

ورد بلفظ الفعل الدال على الطلب (استفعل) وقد ورد مرتين في الآيات التالية:

١٣. (وَجَحَدُوا بِهَا **وَاسْتَيْقَنَتْهَا** أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل: ١٤).

١٤. (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا **لِيَسْتَيْقِنَ** الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ) (المدثر؛ ٣١).

ورد بلفظ الاسم (اليقين) ورد ثمان مرات

١٥. (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ **الْيَقِينُ**) (الحجر: ٩٩).

١٦. (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ **يَقِينٍ**) (النمل: ٢٢).

١٧. (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ **الْيَقِينِ**) (الواقعة: ٩٥).

١٨. (وَإِنَّهُ لَحَقُّ **الْيَقِينِ**) (الحاقة: ٥١).

---

(٣) المرجع السابق ص ٤٩-٥١

١٩. (حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ) (المدثر: ٤٧).
٢٠. (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) (التكاثر: ٥).
٢١. (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) (التكاثر: ٧).
٢٢. (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (النساء: ١٥٧).

ورد بلفظ اسم الفاعل ورد خمس مرات بصيغة (موقنون)، ومرة واحدة بصيغة (مستيقنين):

٢٣. (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) (السجدة: ١٢).
٢٤. (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (الأنعام: ٧٥).
٢٥. (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) (الشعراء: ٢٤).
٢٦. (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) (الدخان: ٧).
٢٧. (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ) (الذاريات: ٢٠).
٢٨. (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) (الجاثية: ٣٢).

لماذا الحديث عن هذا الموضوع؟

•لأن اليقين حصنٌ يحمي المسلم من الانسياق وراء حملات التشكيك الممنهجة، لا تغره الشبهات التي يصوغها الاعداء في مصانع الكذب لديهم.

•ولأن الإلحاد في جوهره أزمة يقين، وليس قوة برهان، نعم أزمة يقين، وندلل على تفاهة حجج الملحدين في الصفحات التالية.

•ولأن اليقين يعيد للإنسان طمأنينته، في مواجهة عالم مضطرب ماديًّا وقيميًّا.

اليقين هو روح العقيدة، وهو النور الذي يبدّد ظلام الشك، وهو السلاح الذي يواجه به المؤمن رياح الإلحاد، وخماسين الفتنة.

فإذا امتلكه القلب، صار صاحبه ثابتًا كالجبال، راسخًا في أزماته، مطمئنًا في شدائده، صابرًا في ابتلائه، ومن هنا تنبع أهمية طرح موضوع اليقين.

مراتب اليقين:

ذكر الله مراتب اليقين في سياقات قرآنية بديعة:

• **علم اليقين**: معرفة الخبر عن طريق البرهان أو الوحي الشريف المعصوم.
(كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) (التكاثر: ٥).
• **عين اليقين**: إدراك الأمر بالمشاهدة المباشرة (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) (التكاثر: ٧).
• **حق اليقين**: التحقق الكامل بالمعايشة والتجربة (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) (الواقعة: ٩٥).

وهذا التدرج يدل على أن اليقين في الإسلام ليس مجرد معلومة ذهنية، بل هو معرفة، مشاهدة، معايشة، أي انتقال الإيمان من العقل إلى القلب، ومن القلب إلى السلوك والعمل.

قال ابن القيم رحمه الله:

«واليقين ثلاث مراتب:

علم اليقين: وهو ما حصل بالخبر المتيقن.

وعين اليقين: وهو مشاهدة المخبَر به عيانًا.
وحق اليقين: وهو مباشرة الشيء ووقوعه».
شرح المراتب مع الأمثلة:

١- علم اليقين

هو اليقين الذي يأتي عن طريق المعرفة أو الخبر الموثوق، أي أنك تثق في المعلومة؛ لأنك حصلت عليها من مصدر صحيح ومأمون.
من الحياة: كأن يخبرك شخص موثوق بأن هناك عسلًا في جرة، فأنت تصدقه دون أن تراها بنفسك.
مثال من الدين: معرفتنا بالجنة والنار، وقد وردت المعرفة عن طريق القرآن والسنة؛ ومن ثم نعلم أنها موجودة لكننا لم نرها بعد.

٢- عين اليقين

هو اليقين الناتج عن المشاهدة والرؤية المباشرة، أي أنك ترى الشيء بعينيك فيزداد اليقين، وبالتالي لم تعد بحاجة للاعتماد على خبر الآخرين.
وذلك كأن يريك الشخص الجرة التي فيها العسل، فتراها بعينك مباشرة.
وأيضا كيوم القيامة حين تُعرض الجنة والنار أمام الخلائق، فيراها الجميع، هنا يكون ذلك عين اليقين.

٣- حق اليقين

هو أعلى مرتبة من اليقين، وهو التجربة والمباشرة الحسية، أي أن الشيء وقع أمامك وتأكدت منه تمامًا، فتكتمل المعرفة.
كأن تأخذ من العسل وتذوقه، فتصبح معرفتك به تجربة مباشرة وليست مجرد سماع أو رؤية.
وأيضا دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، حينئذ يدركون حقيقة ما أخبر الله عنه، وهذا هو حق اليقين.
وهكذا فإن اليقين يبدأ بالمعرفة بالخبر، ثم يرتقي بالمشاهدة، ثم يصل إلى المعايشة والتجربة العملية. كلما ارتقى الإنسان في هذه المراتب، صار اليقين أعمق وأثبت، حتى يصل إلى حق اليقين، وهو تجربة الواقع المباشر الذي لا مجال للشك فيه

اليقين في علم النفس

علماء النفس يؤكدون أن الإنسان إذا فقد اليقين عاش في قلق وحيرة، ولو امتلك المال والشهرة.
"فيكتور فرانكل" يقول: أكبر مأساة للإنسان أن يعيش بلا معنى ولا يقين، فيقع في فراغ وجودي يولّد الاكتئاب والانتحار. ولهذا نرى اليوم كثيرًا من الشباب الغربي على الرغم من الرفاهية التي يعيشون فيها فإنهم يعانون من القلق النفسي؛ لأن قلوبهم فارغة من اليقين بالله.

اليقين في التصوف

المتصوفة جعلوا اليقين غاية السالكين، ونورًا في القلب لا تزعزعه الشكوكلذلك قال بعضهم: "اليقين نور يقذفه الله في القلب، كأن العبد يرى وعد الله عيانًا.
ولذلك نرى أن من ذاق حلاوة اليقين يثبت عند المصائب ولا يتزلزل، بينما غيره ينهار أمام أقل ابتلاء.

اليقين في العلوم التجريبية

اليقين ليس ترفًا دينيًّا، ولا رفاهية فكرية، بل هو حاجة إنسانية أصيلة، وركيزة في علم النفس، وغاية في التصوف، وأساس لا غنى عنه في العلوم.
فمن افتقد اليقين تاه قلبه وعقله، ومن امتلكه عاش مطمئنًا ثابتًا في دينه ودنياه.

حتى العلوم التجريبية الحديثة قائمة على مراتب من اليقين؛ فقوانين مثل الجاذبية أو دوران الأرض لم تعد محل شك، بل غدت يقينيات علمية تشكّل منطلقًا لكل بحث لاحق.

كما أن الدماغ البشري مهيأ –من الناحية المعرفية– للبحث عن أنماط يقينية توفر له شعورًا بالأمان والاستقرار. ولو عاش الإنسان في شك مطلق لتعطلت حياته اليومية، وانهار منهجه العلمي، إذ لا يمكن للسلوك أو البحث أن يقوم على فراغ من الثقة أو يقين.

على أن هذا اليقين العلمي لا يولد دفعة واحدة، بل يمر بمرحلة من الشـــك المنهجي الذي يدفع الباحث إلى التساؤل والاختبار والتجريب. فهذا الشك ليس إنكارًا للمعرفة، بل أداة للوصول إليها؛ إذ يقود إلى عمل منضبط قائم على الملاحظة والقياس والتجربة المكررة. وكلما تكررت التجربة وأعطت النتيجة نفســـها، انتقل الباحث من دائرة الاحتمال إلى دائرة اليقين العلمي.

ومن هنا يتضح أن اليقين ليس مجرد مفهوم ديني أو فلسفي، بل هو ضرورة عقلية ونفسية وعلمية، يمثل قاسمًا مشتركًا بين مجالات المعرفة كافة، ويمنح الإنسان القدرة على البناء والإبداع والبحث المستمر. فاليقين في العلوم الناجم عن البحث والدرس والتجربة المنضـــبطة التي إذا كررت أتت نفس النتيجة بدقة وتماثل شـــديدين، هو الأساس للتطوير والتحديث والبناء واختراع العلاجات والأدوية... وكل إنجاز علمي نافع للإنسانية.

أثر اليقين:

على الشخص:

اليقين يعطي الإنسان ثباتًا وراحة؛ فلا يخاف على رزقه المضمون له من الله، ولا يتقلب مع كل شبهة، ولا ينهار عند كل أزمة. من يوقن برزق الله لا يخاف من المســـتقبل، ومن يوقن بالآخرة لا تغره الدنيا، ومن يوقن بالقدر لا يعيش في قلق وخوف دائم.

على الأسرة:

الأســـرة التي يغمرها اليقين تعيش في ســـكينة وطمأنينة. والأولاد الذين يتربون على اليقين في ظل أســـرة مؤمنة ينشؤون أقوياء لا تهزهم تيارات الإلحاد أو الانحراف.

على المجتمع:

المجتمع الموقن هو مجتمع صامد منتج؛ فاليقين الذي استقر في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم جعلهم يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، ويشيّدون حضارةً راسخة امتدت آثارها إلى الإنسانية جمعاء. أما المجتمع الذي يفتقد اليقين، فإنه سرعان ما ينزلق إلى الفوضى والاضطراب، وتنتشر فيه الجريمة والانتحار واليأس، لغياب المعنى والغاية، وافتقاد البوصلة الروحية والفكرية.**على الصحة النفسية:**

اليقين دواء للقلق والاكتئاب. علماء النفس يؤكدون أن غياب اليقين يولد "الفراغ الوجودي"، وهو أســـاس الأمراض النفسية. أما المؤمن الموقن فيعيش مطمئن القلب، كما قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨).

وهكذا فإن اليقين يصنع الإنسان الواثق، والأسرة المستقرة، والمجتمع القوي، ويمنح القلب سلامًا لا تقدر عليه الأدوية ولا المال.

أثر غياب اليقين على الصحة العامة وكيمياء الجسم

التوتر المزمن:

عندما يعيش الإنسان في قلق وشكوك دائمة (غياب اليقين)، يظل الجسم في حالة "استنفار". هرمونات التوتر مثل الكورتيزول و الأدرينالين تظل مرتفعة، وهذا يرهق القلب، يرفع ضغط الدم، ويضعف جهاز المناعة.

الجهاز العصبي:

الدماغ مبرمج على البحث عن المعنى. فإذا لم يجد يقينًا يرسو إليه، ينشغل في حلقة مفرغة من التساؤلات والقلق، مما يؤدي إلى الإرهاق الذهني واضطرابات النوم.

الجهاز الهضمي:

القلق الناتج عن غياب اليقين يغيّر حركة الأمعاء وإفرازاتها، فيسبب القولون العصبي، عسر الهضم، والقرحة.

الصحة النفسية ↔ الجسدية:

غياب اليقين يرفع معدلات الاكتئاب والقلق، وهذه بدورها تؤثر على كيمياء المخ (مثل السيروتونين والدوبامين)، فتزيد احتمالية الإدمان والانهيار النفسي.

أمثلة واقعية قريبة

- شخص لا يملك يقينًا بالرزق يظل في خوف دائم من المستقبل **ويتولد عن ذلك** ضغط دم مرتفع + أرق.
- شخص آخر يشك في جدوى حياته فيقع فريسة اكتئاب مزمن يؤثر على جهازه العصبي والمناعي.
- بينما المؤمن الموقن يقول: "لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"، فينخفض توتره، ويعيش بجهاز مناعي أقوى.

فالذي يفقد يقينه بالله (سبحانه وتعالى) يعيش قلقًا لا ينقطع، وهمًّا لا يزول –إلا باليقين– فتراه مضطرب الفكر، متوتر الأعصاب، قد غلبت عليه الوساوس والشكوك والظنون والأوهام المهلكة.

وقد أثبتت الأبحاث الطبية أن الإنسان إذا عاش في قلق دائم، ارتفع في جسده هرمون التوتر "الكورتيزول"، فينهك قلبه، ويرفع ضغط دمه، ويضعف جهاز مناعته، فيصبح عرضة للأمراض. ومن لم يطمئن قلبه يقينًا بربه، لم يذق طعم النوم الهانئ، ولا الراحة الحقيقية، فتتأثر أعصابه، وتضطرب معدته، وتفقد حياته توازنها.

تأملوا –عباد الله– كيف جمع الله بين ذكر الإيمان وبين الطمأنينة، فقال:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، وسبحان الله فقد جاءت هذه الآية في سورة الرعد، والرعد مخيف، فجاءت الآية الكريمة لتبث الأمل والسكينة والطمأنينة في قلوب الذاكرين.

ألا ترون كم من الناس اليوم يملكون المال، ويحيطون أنفسهم بألوان المتع، ولكن قلوبهم خاوية، وأجسادهم عليلة، وأنفاسهم ضيقة، لأنهم لم يجدوا يقينًا يملأ فراغهم؟!

فاليقين شفاء للقلوب، ودواء للأبدان، وأمان للناس. ومن فقده عجزت عن علاجه الأدوية، وضاقت به الحياة، ولو فُتحت له خزائن الدنيا.

نماذج اليقين وأثرها في مواجهة الشدائد والإلحاد

نتأمل في نماذج حيّة لأصحاب اليقين الذين ضربوا أروع الأمثلة في تمكين اليقين من قلوبهم وتعلقهم بربهم، سطّرها القرآن والسنة والتاريخ، حيث تحوّلت المحن إلى منح، والمصائب إلى مكرمات، بفضل اليقين.

- **سيدنا إبراهيم عليه السلام والنار: يقين يحول العذاب إلى سلام**

يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا

عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) (الأنبياء: ٥١-٧٠)

هذه الآيات تؤكد المعجزة: أن قوم سيدنا إبراهيم هم الذين ألقوه في النار بعد أن كسر أصنامهم، فجعل الله النار بردًا وسلامًا عليه، فخرج منها سالمًا لم تمسّه بسوء.

فهذه الحادثة وقعت حين اجتمع قوم إبراهيم وقرروا إحراقه انتقامًا لآلهتهم، فبنى لهم النمرود محرقة عظيمة، وألقوا إبراهيم فيها بمنجنيق.. إن المشهد في ظاهره يعني الهلاك المحقق، ولكن قلب إبراهيم كان عامرًا باليقين.

وقيل: بأن جبريل أتي إليه وقال له يا إبراهيم، ألك حاجة، فقال له: إن كان منك فلا، وإن من الله فهو عالم بحالي يغنيني عن سؤالي. فجاء أمر الله المعجز: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء: ٦٩).

فجاء الأمر الإلهي للنار بأن تكون بردًا وسلامًا، فكانت معجزة عظيمة وثباتًا يقينيًا من إبراهيم عليه السلام.

القصة تجسد أعلى درجات اليقين بالله؛ إذ واجه سيدنا إبراهيم النار العظيمة دون خوف أو تردد، مستسلمًا لقدرة الله وحده، فنجّاه الله بآية باقية في التاريخ تؤكد أن اليقين أقوى من النار ومن كل أدوات البطش.

لقد كان اليقين حصنًا جعل النار بردًا، وجعل المحنة برهانًا على أن الله لا يضيع أولياءه.

- **سيدنا إبراهيم والسيدة هاجر وولدها الرضيع في صحراء مكة: يقين يزرع الحياة**

يأمر الله إبراهيم أن يترك زوجته هاجر وطفلها الرضيع إسماعيل في وادٍ مجدب جاف لا زرع فيه ولا ماء. تسأله هاجر: "آلله أمرك بهذا؟" قال: "نعم".

قالت: "إذًا لن يضيّعنا". إنها كلمات نابعة من يقين امرأة مؤمنة.

وفعلاً، فجر الله ماء زمزم من تحت قدمي إسماعيل، ليبقى مسعاها بين الصفا والمروة وأثر يقينها بركةً يتزود منها الملايين حول العالم في كل زمان إلى يوم الدين.

- **سيدنا النبي (ﷺ) وصاحبه في الغار: يقين يحول الخوف إلى سكينة**

لما أمر الله تعالى نبيه بالهجرة من مكة إلى المدينة، اتجه ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار ثور، حيث احتميا فيه من ملاحقة المشركين. وقد بلغ المطاردون باب الغار حتى قال أبو بكر (رضي الله عنه): للنَّبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَنَا فِي الغَارِ: لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فجاء الجواب النبوي مفعمًا باليقين فَقَالَ: (ما ظَنُّكَ يا أبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!) (٤).

لقد خشي أبو بكر قرب العدو حتى كاد يراهما، لكن النبي ﷺ علّمه أن الثقة بالله أكبر من الخطر الظاهر، وأن حسن الظن برب العالمين يُحوّل الخوف إلى طمأنينة. وهو ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

هنا يظهر اليقين في أوضح صوره: في أشد لحظات الخطر، يكون قلب المؤمن ساكنًا مطمئنًا، لأن الله معه.

يقول تعالى: (وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (الأعراف: ١٩٨)، وإذا كانت هذه الآية تخص سياقا آخر، قيل بأن المقصود، الأصنام، عبر عنها بالعاقل وهي جماد، ولهذا عاملهم معاملة من يعقل، لأنها على صور مصورة كالإنسان، فقا: (وتراهم ينظرون إليك) فعبر عنها بضمير من يعقل كما قال ابن كثير، وقيل المقصود بهم الكفار أنفسهم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه.

فإننا نستدعيها هنا في مشهد الغار وكأن الله أبطل أبصارهم حتى لا يرون رسول الله وصاحبه.

- **طريق الهجرة: يقين يحول المطاردة إلى حماية**

خرج النبي ﷺ من مكة مُطارَدًا، وقد رصدت قريش جائزة عظيمة لمن يأتي به حيًّا أو ميّتًا. وتبعه كثيرون طمعًا في المكافأة، وكان منهم سُراقة بن مالك ممتطيًا فرسه، شاهِرًا سيفه، حتى استطاع أن يقترب منهما. لكنّ يقين النبي ﷺ وثقته بربّه كانت الحصن المنيع؛ فإذا بفرس سراقة تغوص قوائمها في الأرض، مرّة بعد مرّة، حتى أيقن أن لهذا النبي شأنًا عظيمًا، فعاد أدراجه مدافعًا عنه بعدما كان مُطارِدًا له.

هكذا يصنع اليقين: يقلب الموازين، ويحوّل الخطر إلى أمان، والهزيمة إلى نصر، والعداوة إلى حماية.

- **معركة بدر: يقين يحول القلة إلى كثرة**

كان المسلمون يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، يواجهون جيشًا قوامه ألف من المشركين. وبمقاييس الأرض لم تكن موازين القوى تسمح بالنصر، لكنّ القلوب امتلأت يقينًا صادقًا بوعد الله، وتعلّقت به سبحانه حقّ التعلّق، مستحضرين قوله تعالى: (...قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٢٤٩).

فأمدّهم الله بملائكته تقاتل معهم، فإذا بالقلة المستضعفة تتحوّل إلى قوة منتصرة، وإذا بالنصر الإلهي يُبدّل الضعف قوة، ويحوّل لحظة عصيبة إلى حدث عظيم غيَّر مجرى التاريخ، ورسّخ يقين الأمة بأن النصر من عند الله وحده.

- **يوم الأحزاب: يقين يحول الحصار إلى فتح**

اجتمع الأحزاب من قريش وغطفان واليهود في حلفٍ لم يشهد له العرب مثيلًا، وحاصروا المدينة حصارًا خانقًا وقد حفروا الرسول والمسلمين الخندق حول المدينة، وكان المشركون ومن معهم كُثُر حتى بلغت القلوب الحناجر، واشتد الخوف يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب: ٩-٢٠)

ويصور الله تعالى حال المنافقين في سورة الأحزاب بقوله: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا). كان الموقف عصيبًا، والجوع شديدًا، والبرد قارسًا، والعدو متأهّبًا.

وفي هذا الميدان الحرج برز يقين المؤمنين، فقالوا مطمئنين: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٢٢). بهذا اليقين ثبتت القلوب وارتفعت الهمم، وصار الإيمان أقوى من السيوف المحيطة.

وكان نصر الله للمؤمنين على صور شتى: فقد ألقى الرعب في قلوب الأحزاب، وأرسل عليهم ريحًا عاتيةً قلبت قدورهم واقتلعت خيامهم وفرّقت جموعهم، ونشرت في صفوفهم الخوف والاضطراب حتى تفرقوا خاسرين. بينما تحوّل الضعف عند المؤمنين إلى قوة، والخوف إلى أمان، والحصار إلى فتح.

قال تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) (الأحزاب: ٢٥). فكان ذلك درسًا خالدًا بأن النصر لا يُنال بالكثرة والعتاد وحدهما، وإنما يُصنع باليقين بالله، والأخذ بالأسباب، والاعتصام بوعده الحق.

- **بلال وعمار وآل ياسر: يقين يحول العذاب إلى جنان**

كان بلال بن رباح (رضي الله عنه) عبدًا مملوكًا، لكنه كان سيّدًا بإيمانه ويقينه. آمن بالله ورسوله ﷺ إيمانًا لا تزعزعه المحن، فثار عليه سيده المُشرك، وأراد أن يرده عن دينه فعذّبه عذابًا أليمًا؛ فكان يأمر بطرحه تحت لهيب الشمس الحارقة، ويُجلد بالسياط، وتُلقى على صدره الصخور العظام المحماة بحرارة الشمس، ومع ذلك ظل ثابتًا راسخًا، لا يلين ولا يستسلم، يردّد كلمة واحدة هزّت أركان الباطل: «أحدٌ...أحد». كانت الكلمة وحدها وكأنها مجلدات من اليقين، وكانت اليقين الراسخ في قلب عبدٍ ضعيف الجسد قوي الروح.

وعلى درب الثبات سار آل ياسر، فكانت سمية أم عمار أول شهيدة في الإسلام؛ صبرت على العذاب حتى طُعنت بحربة أبي جهل، وكأنها ترى الجنة أمامها. وقال لهم النبي ﷺ وهو يواسيهم ويزرع فيهم الرجاء: (صبرًا آل ياسرٍ، فإنَّ موعدَكم الجنةُ) (٥). لقد كان يقينهم هنا ليس مجرد فكرةٍ تُتداول، بل حياةً تسري في العروق، تقلب الموت حياة، والهزيمة نصرًا، والضعف مجدًا خالدًا.

هكذا خلدهم التاريخ في سجلاته المشرفة، ورفعهم سيدُ الخلق ﷺ إلى ذرى الشرف الخالد، فقد انتصروا في عراك الصراع المرير بين الحق والباطل، وهذه رسالة للمستضعفين في كل مكان.

- **ماشطة ابنة فرعون: يقين يحول الزيت المغلي إلى جنة**

كانت الماشطة تمشّط شعر ابنة فرعون، فانفلت المشط من يدها فقالت: «بسم الله». فقالت لها ابنة فرعون في استنكار: «ألكِ ربّ غير أبي؟».

فقالت بكل ثبات: «ربي وربك الله». فلما بلغ الخبر فرعونَ الطاغية، استشاط غضبًا وهدّدها بأن يُلقي أولادها واحدًا تلو الآخر في الزيت المغلي إن لم تكفر بالله، ثم يُلقيها هي بعدهم. لكنها لم تضعف، ولم تساوم على عقيدتها، بل أصرّت على كلمة التوحيد، وواجهت الامتحان الأعظم بثباتٍ قلّ نظيره.

وإذ همّت أن تجزع عند رضيعها الصغير، أكرمها الله بآية بيّنة؛ إذ أنطق الرضيع قائلاً: «اثبتي يا أمّاه، فإنكِ على الحق»، فاطمأن قلبها، وتحوّل الغليان نارًا إلى بردٍ وسلام، وكأنها رأت بعين اليقين ما وعد الله به الصابرين:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت: ٣٠).

فخلّد الله ذكرها في سجلّ الخالدين، لتبقى رمزًا يقينيًا يعلّم الأجيال أنّ الجنة أثمن من كل حياة، وأن الثبات على كلمة الحق طريق الخلود.

---

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي (١١/ ٣٤٢) واللفظ له بزيادة في أوله، والطبراني (٢٤/ ٣٠٣)_D٠٠٠X_ (٧٦٩)، وأبي نعيم في (حلية الأولياء) (١/ ١٤٠)، وقاضي المارستان في (المشيخة الكبرى) (١٨٨) جميعا بنحوه. وأخرجه شعيب الأرناؤوط | المصدر؛ تخريج سير أعلام النبلاء – رجاله ثقات، لكنه منقطع

- **أصحاب الأخدود: يقين يحول النار إلى شهادة**

سُجِّلت في صفحات التاريخ مأساة شامخة وبطولة خالدة: حُفرت الأخاديد في الأرض، وأُضرمت فيها النيران حتى صارت جحيمًا مستعرًا، ثم جِيءَ بالمؤمنين وقيل لهم: اكفروا أو تُلقوا في النار. فإذا بهم يتقدّمون إليها بقلوبٍ واثقة، وصدورٍ مطمئنة، يزهدون في حياةٍ فانية، ويشرئبّون إلى حياةٍ باقية عند ربّهم. لم يكن اليقين عندهم فكرةً تُتداول، بل كان روحًا تُعاش، يبدّد وهج النار، ويحوّل لهيبها إلى أنوارٍ تمهّد الطريق إلى الجنان.

فخلّدهم الله تعالى بآياتٍ تُتلى على مرّ الأزمان، يقول تعالى في البيان القرآني الخالد:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ. قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) (البروج: ١-١١).

قال السعدي (رحمه الله) في تفسيره لقول الله تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ): كان أصحاب الأخدود هؤلاء قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودًا (في الأرض)، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ).

لقد أراد الطغاة أن يحرقوا أجساد المؤمنين في لظى النيران، فإذا بأنفاسهم الطاهرة تتحوّل إلى مشاعل هداية، وأرواحهم الزكية تضيء الكون كله بالثبات والإيمان. أرادوا أن يطفئوا نور الله بزيف سلطانهم وسطوة جبروتهم، فإذا به يزداد توهّجًا في قلوب أوليائه، حتى صاروا نجوما باقية في سماء التاريخ.

وهكذا خُلِّد أصحاب الأخدود أيقونة يقين لا يخبو، ورمز ثبات لا يزول، يذكّرون الأمة على مرّ الدهور أن الشهادة أهون من لحظة تردّد، وأن الجنة لا تُنال إلا بالصبر على البلاء والتمسّك بالحق، ولو كان الطريق إليها مفروشًا بالجمر واللهب. فسلامٌ على أرواحهم، وسلامٌ على كل ثابتٍ على الحق، وسلامٌ على كل من يستلهم يقينهم في مواجهة فتن هذا الزمان... وهي رسالة إلى أهلنا في فلسطين وفي غيرها من المستضعفين.

- **الرجل صاحب الألف دينار: يقين يحول البحر إلى حارس أمين**

استدان رجل من رجلٍ آخر ألف دينار على أن يردها في موعدها، فلما جاء الأجل لم يجد سفينة تُقِلُّه ليسدد دينه. لم ييأس، بل لجأ إلى يقينه بالله، فأخذ خشبةً جوّفها، ووضع المال داخلها مع رسالة إلى صاحبها، ثم أوكل أمره إلى الله وألقاها في البحر مطمئنًّا أن الله سيبلّغها. وفي مشهد مهيب تصل الخشبة إلى صاحبه، فيأخذها متعجبًا، بعد أن آيس من مجيئ المدين.. أخذها وهم بفتحها فوجد المال محفوظًا كما هو، وكأن البحر قد صار رسولًا أمينًا يؤدي الأمانة.

هكذا يعلّمنا هذا الموقف أن اليقين الحقّ لا يعرف المستحيل؛ فهو يفتح للعبد أبوابًا لا تخطر له على بال، ويجعل عناصر الكون كلّها جنودًا تؤدي رسالة الحق وتحقق وعد الله لعباده المخلصين.

وهذه النماذج ليست قصصًا تُحكى للتسلية، بل هي دروس عملية تقول لنا: إن اليقين بالله يجعل النار بردًا، والصحراء عمرانًا، والغار حصنًا، والمعركة نصرًا، والحصار فتحًا، والعذاب جنة، والبحر طريقًا.

اليقين هو السلاح الأقوى في مواجهة الإلحاد والشكوك، وهو الحصن الذي لا تهدمه الشبهات ولا تنال منه الفلسفات، ومن ثم علينا أن نغرسه في قلوبنا وقلوب أولادنا بالعلم والعبادة والتفكر، حتى نكون أمة ثابتة أمام رياح الإلحاد والتشكيك.

اللهم ارزقنا علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين... وارزقنا قلوبًا يملؤها اليقين، ونفوسًا مطمئنة، وثباتًا على الحق حتى نلقاك، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

هل يمكن تعلم اليقين؟

الجواب: نعم يمكن أن يتعلم الإنسان اليقين، لكن ليس بنفس طريقة تعلم العلوم النظرية فقط، بل عبر تربية إيمانية شاملة تجمع بين العلم، والعبادة، والتجربة الروحية، والتواصل الدائم مع الله، والعيش في معيته وعنايته ورعايته وكنفه على الدوام

كيف يُتعلَّم اليقين؟

بالعلم الشرعي:

- معرفة أسماء الله وصفاته، وآيات القرآن، وسيرة الأنبياء والصالحين.
- قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (الأنعام: ٧٥).

فالعلم يفتح أبواب اليقين.

بالتفكر العقلي:

- النظر في الكون والأنفس والآفاق، وكلها دلائل على عظمة الخالق.
- قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: ٥٣).

بالتجربة الإيمانية:

- المداومة على الصلاة والدعاء والذكر والقرآن؛ لأن القلب يذوق حلاوة اليقين بالممارسة.

بالمجاهدة والصبر:

- اليقين لا يُمنَح للغافل، بل للمجاهد لنفسه الصابر على الطاعة والابتلاء.
- قال ابن القيم: "اليقين إنما يُستجلب بالصدق في الطلب، وبذل الجهد في السير." (مدارج السالكين).

وهكذا فاليقين مثل العضلة: يقوى بالتمرين، ويضعف بالإهمال.

- من يقرأ القرآن ويتفكر في خلق الله، يقوى يقينه.
- من يصبر على الابتلاءات ويحتسبها عند الله، يزداد يقينه.
- من يخالط أهل الإيمان، ويبتعد عن مواطن الشبهات، يحافظ على يقينه.

وهكذا فاليقين يمكن تعلمه وتربيته وتنميته، وهو رحلة مستمرة تبدأ بالعلم، وتتأكد بالعمل، وتُثمر بالذوق والتجربة

ثمار اليقين في حياة المسلم

- الطمأنينة النفسية والسكينة.
- الثبات أمام الفتن والشبهات.
- الشجاعة في مواجهة الباطل.
- الرضا بالقضاء والقدر.
- البذل والتضحية في سبيل الله بثبات.

غزة تكتب بدمائها دروس اليقين.. وغزة تبرهن أن اليقين باق

من أعظم ما يحتاجه المسلم اليوم: اليقين بالله؛ يقينٌ يثبّت القلوب، ويبدّد الشبهات، ويجعل العبد يرى بنور الله.

ولقد يسأل سائل: أين الله مما يجري في غزة؟ ولماذا لم ينصر الله أهلها؟

والجواب: إن المحن ليست فقدان يقين، بل امتحان يقين. فالابتلاء سُنّة جارية في حياة المؤمنين، قال تعالى:

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) (العنكبوت: ٢).

إن المصائب لا تعني غياب الله، بل حضوره واختباره لعباده. واليقين الحقيقي لا يظهر في أوقات الرخاء، بل يبرز في أوقات الشدة، والشدائد...

واليوم نرى أهل غزة تحت القصف ثابتين، يتلون القرآن في الخنادق، ويصلّون تحت الركام، وهذا وحده شاهد حيّ على أن الابتلاء يزرع اليقين ولا يقتلعه.

لكن –عباد الله– اليقين ليس شعارات ترفع ولا أدعية بلا عمل؛ بل هو إيمان يترجم إلى فعل، وإعداد قوة، ووحدة إسلامية، تجعل العالم يرانا كما يرى الأقوياء الكبار، قال تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...) (الأنفال: ٦٠).

وهنا تظهر حقيقتان واضحتان:

١. أن المؤمن يرى في البلاء امتحانًا يرفع درجته، بينما الملحد يراه حجة على غياب الإله. قال تعالى:

(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ١٠٤).

٢. أن النصر وعد إلهي، لكنه مشروط: بالإيمان، والعمل، وإعداد القوة الشاملة والوحدة. فالله لا ينصر المتواكلين ولا المفرّقين، بل قال:

(...وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ ...) (الحج: ٤٠).

إن محنة غزة تكشف ضعفنا نحن أكثر مما تكشف غياب نصر الله؛ فرقتنا، عجزنا، وقلة إعدادنا على الرغم من كثرة أعدادنا. والواجب أن نحولها إلى وقود محرك لنهضة ملهمة وقوة تهاب، ودافع للوحدة، وأن يكون يقيننا بالله يقينًا حيًّا عاملًا، لا يقينًا خامدًا جامدًا.

اللهم ثبّت إخواننا في غزة، اللهم اربط على قلوبهم، اللهم كن لهم عونًا ونصيرًا، اللهم ارحم شهداءهم، واشف جرحاهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

ما الإلحاد؟

الإلحاد في اللغة يعني الميلَ والعدولَ عن القصدِ والحق، وكانت العربُ قديما تُطلق صفةَ الإلحاد على أيّ أحدٍ أظهرَ بدعةً وإنْ كان مؤمنا بالله تعالى...

والالحاد في الاصطلاح: هو مذهبٌ فلسفيٌّ يقومُ على فكرةِ إنكار وجودِ الله الخالق –حاشا لله–، والقولِ بأن الكونَ وُجد بلا خالق، وينكر القضية الإيمانية برمتها، فينكر الغيب تماما، وبالتالي لا يؤمنون بوجود الملائكة ولا بالجن ولا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالحساب ولا بالجنة أو النار.. وهكذا فإن الإلحاد يشمل كل أنواع الكفر والشرك بالله والعياذ بالله...

الإلحاد: أسبابه ومظاهره

- الأسباب الفكرية: الجهل بالدين، الشبهات الفلسفية.
- الأسباب النفسية والاجتماعية: صدمات، ظلم، قدوات سيئة.
- الأسباب العلمية: سوء فهم العلاقة بين العلم والإيمان.
- المظاهر: التشكيك في وجود الله – إنكار الغيب – تأليه المادة.

العلاقة بين اليقين والإلحاد

- اليقين علاج للشك والإلحاد.
- غياب اليقين يولّد الحيرة والاضطراب النفسي.
- الإلحاد قائم على الشكوك والافتراضات، بينما اليقين قائم على دلائل عقلية ونقلية وروحية.
- قوة اليقين تجعل المسلم محصنًا ضد دعاوى الإلحاد.

وسائل عملية لتعزيز اليقين ومواجهة الإلحاد

١. التربية الإيمانية المبكرة (غرس الإيمان في نفوس الأطفال والناشئة).
٢. العلم الشرعي (التفقه في العقيدة والقرآن والسنة).
٣. العلم التجريبي (إظهار توافق الكون مع دلائل الإيمان).
٤. ممارسة العبادات بوعي (الصلاة – الذكر – التفكر).
٥. مواجهة الشبهات بالحوار العلمي (المنطق، الفلسفة، العلم الحديث).
٦. النماذج العملية من سِيَر الأنبياء والعلماء والصالحين.

وألخص القول في ذلك في عدة نقاط...

أولا: أن الإيمان بالله تعالى هو الأساس الذي كان عليه آدمُ وذريتُه من بعده منذ أن أنزله الله إلى الأرض. أما الإلحاد فقد كان أمرًا طارئًا على البشرية؛ وفكرة الإلحاد برمتها صنيعة شيطانية، فالشيطان هو أول من كفر بالله (عز وجل)، وهو الذي نثر بذور الكفر بالله في هذه الحياة، وهو الذي توعد بإغواء المؤمنين. وبالتالي فالإلحاد هو فكرة خبيثة وباطلة، لا يقبلها عقل ولا منطق

ولقد كان الإلحاد في الزمن القديم يختلف قوة وضعفًا باختلاف القائمين عليه:

فمنهم من كان إلحاده يكمن في إدخال شركاء مع الله تعالى كالوثنيين والمجوس وهم أكثرية الملحدين وقت ذاك. قال تعالى على لسانهم: (...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ...) (الزمر: ٣).

ومنهم من كان إلحاده في البعد عن الله وهم الدهريون: قال تعالى حكاية عنهم: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجاثية: ٢٤)، وكانوا قلة من العرب.

ثم تطورت فكرة الإلحاد وعمدت إلى إنكار وجود الله بالكلية،

وظلَّ الصراع قائمًا على أشده بين أولياء الله الموحدين، وأولياء الشيطان الملحدين.

إلى أن جاء الإلحاد الحديث على يدي ماركس وأتباعه, فإذا به يقوم على محاربة الله (تعالى) ورسله والأديان كلها, وإنكار وجود خالق الخلق

ثم خفت بانحلال القطب الثاني، وكاد الإلحاد أن يموت ليدفن في مزابل التاريخ،

وقد أراد الله تعالى أن يُظهر للعالمين كذب الملاحدة, فإذا بالقوة التي كانت تمثل قمة الإلحاد تموت في عقر دارها– وإذا بالشعوب المقهورة تعود إلى الاحتفاء بالأديان، وتعلن ما كانت تخفيه من حب الله وأنبيائه ورسله، ويرجعون إلى المساجد والكنائس والمعابد معلنين رفضهم للفكر المادي الإلحادي.

ثم أيقظه الشيطان وأتباعُه من جديد وبثوب جديد، حيث يعيدون نشره بين الحين والآخر، حتى انتشر في عدد من دول العالم الغربي والشرقي، وبشكل عنيف فإضافة إلى محاربة الله (تعالى) ورسله وكتبه والأديان، فإنهم يعمدون إلى ضرب المرجعية،

- التشكيك في مرجعية الله؛ (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق:٨)
- التشكيك في مرجعية الرسول: (...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ...) (الحشر: ٧)
- التشكيك في مرجعية الكتاب والسنة والهُوية والقيم والأخلاق والأعراف الدينية والوطنية واللغة
- التشكيك في الرموز الدينية والتاريخية والقدوات الفكرية والوطنية

وهذا هو مكمن الخطر

- العمل على هدم الدين من الداخل بأيدي بعض أبنائه.
- القيام بحملات متتابعه للطعن في الثوابت والمقدسات.
- محاولتهم شغل الأمة عن بناء مستقبلها وازدهارها.
- محاولاتهم الخبيثة زرع الفتن وإحداث الوقيعة بين الشعوب وحكامها
- إغراق الأمة في عدة مشكلات وصراعات فكرية عقيمة
- محاولتهم خلق بيئة يسودها الشك تكون حاضنة لأفكار الملحدين، وحاضنة للتفلت من أي التزام ديني أو قيمي أو أخلاقي، لإحداث الفوضى بمعناها الشامل، ومن ثم التمكن من تحقيق مخططاتهم الخطيرة.

ثانيا: أن البيئة المصرية والعربية والإسلامية بيئةٌ مؤمنة بفطرتها النقية، وإذا كان الإلحاد يمثل ظاهرة في بعض المجتمعات الغربية والشرقية غير الإسلامية بسبب عوامل كثيرة هيئتها للإلحاد.. حيث يذكر بعض الباحثين أن نسبة الالحاد في العالم تصل إلى السدس (واحد من كل سته أشخاص ملحد) وهذه النسبة كبيرة جدا هذا على المستوى العالمي

أما في بلادنا حفظها الله فلا يمكن وصف الإلحاد في بلادنا العربية والإسلامية بأنه أصبح ظاهرة، فنسبته ضعيفة جدا جدا. فالإسلام دين قوي ومتين وراسخ وليس هشا. ومع ذلك لا يمكن السكوت والغفلة عن هذا الخطر الداهم حتى ولو استهدف نفرا قليلا من شبابنا.

ثالثا: هناك فرق كبير جدا بين حرية المعتقد التي نؤكد عليها، وبين الاستهداف السياسي تحت مسمى حريةِ الاختيار، فحرية المعتقد مكفولة، أما الاستهداف الموجه قصد إثارة الفوضى وإسقاط الدول أو إضعافها أو تمزيقها من الداخل فهو أمر لا يمكن أن يقبله أحد...

رابعا: أن الإلحاد مذهب هدَّام وهو أنواع، ومن أخطر أنواعه: الإلحاد المصنوع والموجه والممول والمنهج لهدم المجتمعات والدول والعمل على إضعافها وإفشالها وإسقاطها، ومن ثم إذا سقطت الدول –لا قدر الله– فيسهل التحكم فيها من الأعداء، ومحو الدين والإيمان من جنباتها.

وهنا نؤكد على امرين: الأول الإشادة بأجهزتنا الأمنية وتلك التي تسهر على أمن بلادنا وحمايتها، والثاني: نؤكد على أهمية بناء الدولة، وعلى أهمية اسقرار الدولة، وعلى أهمية قوة الدولة، وعلى أهمية ترابط لحمتها الوطنية،

والحفاظ عليها من أعداء الداخل والخارج، فالدولة القوية هي التي يزدهر فيها الإنسان وتزدهر فيها الأديان، وتنطلق إلى آفاق التقدم والازدهار(٦).

خامسا: أسباب انتشار الإلحاد

- الانفتاح الثقافي والإعلامي على المجتمعات الملحدة.
- ضعف الوازع الديني لدى طوائف من المجتمع المسلم، والغربة التي يعيشها بعض المسلمين عن دينهم.
- إغواء الشيطان لبعض ضعاف الإيمان.
- رغبة بعض ضعاف الإيمان في الانفلات التام عن الدين وأوامره ونواهيه؛ لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة.
- بعض الأسباب تعود إلى أمور سياسية كرغبة الصهيونية العالمية في السيطرة على العالم.
- طغيان بعض الديانات المحرَّفة حيث جاءت بأفكار لا يقبلها عقل ولا منطق.
- ظهور بعض المذاهب الاقتصادية التي أمست كابوسا ثقيلا على النفس تستعر فيها الأنانية والجشع بغير حساب كالرأسمالية المتوحشة التي سهلت الأمر على الملاحدة للوصول إلى قلوب بعض الناس من خلال التضليل عليهم وإيهامهم بأن في النظام الإلحادي الجديد كلَّ ما يتمنونه من السعادة والعيش الرغيد.
- حالة الانبهار التي أصابت بعض قلوب ضعفاء الإيمان لدينا من تلك الحضارة الزائفة الزائلة.
- ولعل من أبرز الأسباب التي تدفع الشباب إلى الإلحاد هي ممارسات الجماعات الإرهابية التكفيرية التي تنتهج نهج الوحشية والترهيب والذبح باسم الإسلام والتي صدرت مفهوماً مشوهاً لتعاليم الدين، ورسخت صورة وحشية قاتمة له، مما نفر عدداً من الشباب من الإسلام ودفعهم إلى الإلحاد.

سادسا: خطورة الإلحاد: وتتمثل في:

- القضاء التام على فكرة الرقابة الذاتية ومراقبة الله في السر والعلن، ومن ثم الانفلات من القيم الحاكمة للفكر والضابطة للسلوك في هذه الحياة.
- فقد الوازع الديني الذي يردع الشخص عن الظلم، فمن ذا الذي يمنع السارق والغشاش والمزور والنصاب
- نزع القيم الإيجابية من نفس الملحد.
- يقضي على تلاحم المجتمع وتراحمه.
- هدم النظام الأسري لأن للإلحاد آثاراً مدمرة في الحياة الاجتماعية.
- إشاعة الفوضى بين الناس.
- نزع الرحمة من قلوب البشر، فالملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس، ليس له مرجعية والمجتمعات الإلحادية تعيش فيما بينها كما تعيش قطعان الذئاب.
- انعدام الرقابة الذاتية للشخص ومن الصعب أن نجعل على كل إنسان حارسا يحرسه، وإذا استطعنا ذلك فمن ذا الذي يحرس الحارس؟! ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق ويدفعه إليه، لأنه يراقب الله الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم
- حياة بدون هدف والنزوع إلى الإجرام، فلا حرمات ولا محرمات الكل مباح ومتاح بدون ضابط
- إشاعة الفوضى في المجتمعات الآمنة وتفكيك الشعوب المستقرة
- الإنجرار إلى الشهوات والملذات والنزوات، ثم الاكتئاب والخواء الروحي ثم التجرؤ الانتحار

(٦) د. أحمد علي سليمان، محاضرة: مخاطر الإلحاد، الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف، الأسبوع الثقافي الرئيسي السابع، مسجد يوسف الصحابي، مصر الجديدة، الثلاثاء ٦ سبتمبر ٢٠٢٢م، الدكتور محمد مختار جمعة أسباب الإلحاد ومخاطره الجمعة، ٠٨ مارس ٢٠١٩ وزير الأوقاف يكشف أسباب الإلحاد ومخاطره | بوابة أخبار اليوم الإلكترونية، عبد الله بن صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد: مدخل لفهم الإلحاد الجديد، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ.

- ظهور لغة استعلائية وعدائية ضد الله وضد الدين وضد المؤمنين، مدعومة بميلشات الإلحاد
- اختلال القيم، وانتشار الجريمة، وتفكك الأسرة والمجتمع، والخواء الروحي، والاضطراب النفسي، وتفشي ظواهر خطيرة كالانتحار، والشذوذ، والاكتئاب النفسي

سابعا: كيف نطوق الالحاد ونحد من انتشاره

- لابد من تضافر جهود علماء الدين والثقافة والتربية والاجتماع والإعلام وعلم النفس وغيرهم لدراسة أبعاد هذه القضية ومواجهتها.
- ترسيخ عقيدة التوحيد في نفوس المسلمين.
- تربية النشء والشباب تربية إعلامية ودينية سليمة.
- رصد ما يقدمه الملحدون من شبهات، وتفنيدها بمنهج علمي وبأسلوب تربوي مناسب.
- إعادة الثقة بين بين الشباب والعلماء المؤهلين.
- مكافحة ازدراء الأديان والتراث والرموز.
- الحد من النفوذ الإعلامي لدعاته ومروجيه.
- نبذ التقليد الأعمي، وإبراز القدوات الصالحة.
- الاهتمام بالتربية الدينية في شتى مراحل التعليم؛ لأنه عندما يقوى الدين الصحيح، ينحصر الإلحاد والعكس بالعكس.
- بيان أن العَلاقةِ بينَ الدِّينِ والعِلمِ باعتبارِها عَلاقةَ اتِّساقٍ وتكامُلٍ.
- بذل خطاب ديني جديد للشباب يتوافَقُ مع العقليَّةِ الشبابيَّةِ الجَديدةِ، والتي انفتحَتْ على مُختلِفِ الثقافاتِ والأفكارِ.
- مخاطبة عقلَ الإنسانِ ووُجدانَه معا.

وهكذا فإنَّ الواقعَ الجديدَ يحتاجُ إلى إعادةِ النظَرِ في مناهجِنا العِلميَّةِ، والإعلامية والتربوية والثقافية والدينية لأننا في حاجة إلى عقليَّةٍ اجتهاديَّةٍ جديدةٍ، تَصوغُ قِيمَ الإيمانِ بقوالبَ تتوافقُ مع طبيعةِ العقولِ المعاصِرةِ(٧).

الأدلة الدامغة على خواء الإلحاد وتفاهته

من الأدلة العقلية الناطقة بلسان الحال على وجود الله تعالى

الدليل الأول: دليل الخلق

ذلك أن كل مخلوق لابد له من خالق، إذ يستحيل أن تُخلق المخلوقات من دون خالق، فدَّل ذلك على حتمية أن يكون للكون خالق، وهو الله جل وعلا.

الدليل الثاني: دليل النظام الكوني

هذا الكون الفسيح بإنسه وجنه وملائكته ومخلوقات نعلمها ولا نعلمها.. بشمسه وقمره ونجومه وكواكبه وأبراجه ومجراته.. بأرضه وسمائه... بجباله وأنهاره وبحاره ومحيطاته... برياحه وأمطاره وأشجاره ورماله..... والأفلاك التي تدور في مداراتها، والفلك التي تسير في الماء... والطيور التي تطير في السماء... والشمس وحرارتها والقمر وضيائه، وسيران كل هذه الأشياء منذ ملايين السنين بقَدر معلوم وقوانين ثابتة وبنظام دقيق لا يتخلف وفق نظام

(٧) د. أحمد علي سليمان، محاضرة: مخاطر الإلحاد، الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف، الأسبوع الثقافي الرئيسي السابع، مسجد يوسف الصحابي، مصر الجديدة، الثلاثاء ٦ سبتمبر ٢٠٢٢م، الدكتور محمد مختار جمعة أسباب الإلحاد ومخاطره الجمعة، ٠٨ مارس ٢٠١٩ وزير الأوقاف يكشف أسباب الإلحاد ومخاطره | بوابة أخبار اليوم الإلكترونية، عبد الله بن صالح العجيري، ميليشيا الإلحاد: مدخل لفهم الإلحاد الجديد، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ.

كوني دقيق... كل ذلك يدل دلالة واضـــحة على أنه لابد لهذا النظام الكوني البديع بمن يدبر أموره وهو الله عز وجل.

الدليل الثالث: دليل الحدوث

الحادث هو كل شـــيء دون الله.. إذ كل حادث لابد له من مُحدث، ومحدث الحادث لابد أن يكون موجودا، ولابد أن يكون خالقا وقادرا ومريدا، وهو الله سبحانه وتعالى.

تابع من الأدلة العقلية الناطقة على وجود الله تعالى

والله عز وجل مخالف للحوادث في الذات والصـفات.. فذاته ليســت كذوات المخلوقات، وصـفاته ليســت كصفاتها..

وذات الله ليست كذوات الحوادث..

والله تعالى ليس جسما، ولا يحل في الأجسام.

والله لا يحويه مكان، ولا يحده زمان. فهو كان قبل أن كان.

والله تعالى لايُسأل عنه بـ: أين كان؟ ولا متى كان؟ ولا كيف كان؟

بل إنه تعالى كان قبل خلق الزمان وقبل خلق المكان. لا يوجد في جهة.. ولا وجه له، ولا يد له، ولا عين له.. فالوجه يأول على ذات الله، واليد تأول على قدرته، والعين تأول على شمول إحاطته جل وعلا..

والله تعالى لا يتصف بالنزول، والمجيء، والاستواء، والفوقية الحسية... فهو مخالف للحوادث في ذاته وصفاته..

والله تعالى أعلى وأعلم

وإليكم المزيد...

١- الدليل العقلي والفطري

الكون بنظامه المحكم يســتحيل أن يكون وُجد صــدفة؛ فكل أثر يدل على مؤثر، وكل نظام يدل على منظم. والإنسان مفطور على الإقرار بخالقه، فإذا ضاقت به الحياة فلم يجد إلا الله.

٢- الدليل القرآني

القرآن وصف الإلحاد بأنه مكابرة لا دليل لها: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل: ١٤)، وأنه قائم على الظن لا اليقين: (وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) (النجم: ٢٨).

٣- الدليل العلمي

أدق ثوابت الكون لو اختلت جزءًا يســيرًا لانعدمت الحياة، وأبســط خلية حية أعقد من أن تكون وليدة الصدفة. العلم يكشف النظام ولا يفسره إلا بخالق حكيم لهذا الكون.

٤- الدليل النفسي

الملحد يعيش قلقًا بلا غاية، بينما الإيمان يمنح الطمأنينة والرضا. وقد أثبتت الدراسات النفسية أن التدين يقلل الاكتئاب ويرفع السعادة كما أشرنا.

٥- الدليل الواقعي

الإلحاد لم يُنتج حضارة مستقيمة، بل نجم عنه تجارب دموية وخرابًا أخلاقيًا (كالشيوعية). أما الإيمان فهو الذي يعطي معنى للخير والعدل والكرامة الإنسانية.

وهكذا فإن الإلحاد مجرد فراغ فكري وضوضاء جدلية، لا يصمد أمام بداهة العقل، ولا أمام دلائل الكون، ولا أمام صرخة الفطرة: "لا بد من خالق"

اللهم اكتُب أسماءنا في سجلات المؤمنين الموحدين، وفي ديوان المرحومين، وارفع أقدارنا في علّيين، وأنزل علينا السكينة والطمأنينة، ونور اليقين

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﷺ ...) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d